مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 12 / العدد: 01 (2024)، ص: 461-480

تأثير المتغيرات السياسية والثقافية على دور الإعلام في المجتمعات الحديثة وتشكيل الوعي لدى الجمهور

د. نجاة بن صالح[1]
[1]جامعة علي لونيسي - البليدة 2 (الجزائر)، nadjetmino@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/01/18 تاريخ القبول: 2024/02/15 تاريخ النشر: 2024/03/03

ملخص:

تطور الإعلام في العقود الأخيرة وعرف انتشارا كبيرا بفضل تطور التكنولوجيات الجديدة فهو اليوم بمختلف وسائله التقليدية والجديدة منها والتي تعد الآن إحدى أهم وسائل ووسائط نقل/نشر الأخبار الأكثر انتشارا عبر العالم فالإعلام بوسائله المتنوعة يمارس دورا جوهريا في إثارة اهتمام الجمهور لمختلف القضايا والمشكلات المطروحة بحيث يؤثر بشكل كبير على الأفراد والمجتمعات ويسهم في تشكيل اتجاهات الجمهور ورؤيته وآراءه اتجاه القضايا والأحداث المختلفة والقدرة على تحليلها واستيعابها لاتخاذ السلوك المناسب حول هذه القضايا وبذلك خلق الوعي لديه حول ما يهمه من أحداث ومستجدات.

منذ القدم كان للإعلام القدرة على تغيير سلوكيات وأنماط أفراد الجمهور والمجتمعات ككل وقد يكون تأثير الإعلام أحيانا قويا جدا وقادرا على نشر نمط سلوكي وثقافي واجتماعي وسياسي... ينتهجه الفرد أو المجتمع وأحيانا يكون أقل تأثيرا ويستطيع الفرد أو المجتمع بذلك الخروج من النمط الفكري والاجتماعي والسياسي والثقافي الذي يرسمه الإعلام ويتوقف ذلك على مدى رغبة ووعي الفرد أو المتلقي للتعرض للرسائل والمعلومات التي تبثها وسائل الإعلام المختلفة هذا التأثير الذي لا يتم بصورة مباشرة وإنما يقوم بتشكيل الوعي الاجتماعي بصورة غير مباشرة مضطردة مستمرة وتكون على مدى طويل, حيث يمثل الإعلام عنصرا مؤثرا في حياة

المجتمعات باعتباره الناشر والمروج الأساسي للفكر السياسي والثقافة... ويسهم بفاعلية في تشكيل الوعي الاجتماعي والسياسي والثقافي للأفراد إلى جانب المؤسسات الاجتماعية والسياسية الأخرى بل إنه في الغالب أحد أهم منتجي الوعي في مجال السياسة والثقافة عن طريق التفاعل والتأثير الإنساني المتبادل.

الكلمات المفتاحية: المتغيرات السياسية والثقافية، الإعلام، المجتمعات الحديثة، الوعي، الجمهور.

Summary: In recent decades, the media have undergone an evolution and a strong expansion thanks to the development of new technologies...With their various traditional and new means, currently considered as one of the means of mediation and transmission/dissemination of information throughout the world, play a fundamental role in arousing the interest of the public in various questions and problems posed where they significantly influence the individual and societies. They also contribute to shaping the tendencies, the vision and the opinions of the public with regard to various problems and events as well as the capacity to analyze and apprehend them in order to adopt the appropriate behavior on these subjects. Thus, the public has created in him an awareness of events and new facts that concern him.

Since ancient times, the media had the ability to change the behaviors and types of individuals and societies as a whole. The influence of the media can sometimes be very strong and able to propagate a type of behavior, culture, social and political… borrowed either by the individual or the society and sometimes less influential thus allowing the individual or the society to come out of the ideological, social, political and cultural scheme drawn by the media. It depends on the extent of the desire and consciousness of the individual or the receiver exposed to the messages and information disseminated by the various media.

This influence, which is not made in a direct way but rather shapes social consciousness in an indirect, regular, continuous and long-term way where the media constitute an influential element in the life of societies as the main publisher and promoter of political and cultural thought...and actively contributes to shaping the social, political and cultural consciousness of individuals as well as other social and political institutions. Indeed, it is often one of the most important producers of awareness in the realm of politics and culture through mutual human interaction and influence.

Keywords: Political and Cultural Changes, The Media, Modern Societies, Consciousness, The Public.

المؤلف المرسل. نجاة بن صالح

مقدمة:

أضحت وسائل الإعلام اليوم مؤسسات قائمة بحد بذاتها تحتل حيزا من النظام الاجتماعي والإنساني فهي ليست سوى مؤسسات ضمن البنية المؤسساتية الاجتماعية لمختلف المجتمعات الحديثة والتي لا تقل أهمية عن أي مؤسسة اجتماعية أخرى ضمن هذا الكل المتكامل مثلها مثل الأسرة والمدرسة وغيرها من المؤسسات في مختلف المجتمعات البشرية حيث تتأثر هذه الأخيرة بمختلف الظروف والمستجدات السياسية والثقافية والاقتصادية والحضارية...، فالإعلام مؤسسة اجتماعية هامة إذ يحمل مضامين سياسية واقتصادية وأيديولوجية إن لم تكن لها القدرة على ترسيخ ثقافة المجتمع وهويته فإنها تؤدي إلى تزييف وإفساد العقول (موسى, 1988, ص 16), حيث تتأثر المجتمعات سياسيا واقتصاديا وثقافيا نتيجة للانفجار المعرفي الهائل وتطور وسائل الإعلام الجماهيرية والتي تمثل متغيرا اجتماعيا وثقافيا مهما في مختلف المجتمعات الإنسانية عبر العالم فهو المصدر الرئيس

للمعلومات والتعلم وهو أحد مصادر عمليات تشكيل الوعي الاجتماعي في عصر العولمة الإعلامية (حلس, 2003, ص 177) هاته الأخيرة التي أصبحت تدور في فلكها التخطيطات السياسية ورسم سياسات الدول ومستقبلها, فالمؤسسات الإعلامية لا تعمل خارج نطاق العملية السياسية وهو ما يجعلنا نجزم أنه لا يوجد حياد لهذه المؤسسات عن البنى السياسية ومصادر اتخاذ القرارات فيها فالتطورات التي حصلت في المجتمعات الإنسانية الحديثة نتيجة التطور العلمي والتكنولوجي المتسارع والذي تلازم والتطورات الفكرية والمعرفية والوعي الجماهيري، حيث يدعو هذا الأمر إلى ضرورة إعادة النظر في العلاقة الجدلية ما بين الإعلام والسياسة من جهة وما بين الإعلام وتشكيل الوعي الجماهيري من جهة أخرى فهذا الوعي الذي ليس سوى اتجاه عقلي يمكن الفرد من إدراك نفسه والبيئة المحيطة به بدرجات متفاوتة من الوضوح والتعقيد (مذكور, 1975, ص 644) وهو الأمر الذي يظهر اليوم جليا وواضحا في شكل علاقة مبينة على مبدأ الاعتماد المتبادل في المصالح والآفاق والرؤى بين مختلف الأطراف, وكمحصلة لذلك فإن أي تطور أو تغير قد يحدث في إحدى هاته الثنائية المتضادة (Binary Opposition)* السياسي أو الإعلامي ستنعكس نتائجه وتأثيراته بشكل آلي على الآخر فالإعلام الذي بدأ كوعاء لنشر الأخبار وآلية لتدعيم الفكر والوعي والقيم الجماعية على مستوى الأفراد والمجتمعات من خلال وظيفته الأولى والأزلية في نقل/نشر المعلومة والأخبار تحول إلى أداة بيد الأنظمة السياسية وخادما لتوجهاتها وسياساتها وفي ذات الوقت مشكلا ومؤثرا على الرأي العام وموجها للجماهير ضمن أجندات ترسمها دوائر القرار السياسي.

وفي عصر تتسارع فيه متغيرات المعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية العالمية يوما بيوم ولحظة بلحظة وسط عالم تتصاعد فيه وتيرة الصراعات على مراكز القوة والهيمنة السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية من خلال سعي الدول والأنظمة السياسية إلى الهيمنة على الإعلام ليبث من خلالها

أيديولوجياته وأفكاره واتجاهاته بغرض التأثير على الجمهور وإعادة تشكيل وعيه الموجه لصالح النظام السياسي أو المهيمن من خلال سيطرة أصحاب النفوذ ورؤوس المال, وهو ما يجعل من الإعلام أداة لبث رسائل إعلامية بغرض حشد الرأي العام لصالح القضايا التي يتبناها النظام السياسي لفرض نفوذه على الجماهير ووضع تفسيرات خاصة بمحتوى وسائل الإعلام للترويج لمصالح الفئات المسيطرة والمتحكمة في المجتمع وإلهاء الجمهور عن البحث عن الحقيقة التي تعبر عن الواقع الذي يعيشونه وبهذا تكون النتيجة لهذا التأثير السلبي لوسائل الإعلام الموجهة لخدمة فئة معينة ومن الممكن أن تكون هذه الأفكار مشوهة بغرض إيجاد حالة من الانقسام بين الجمهور في حد ذاته اتجاه قضايا معينة والتأثير على إدراكه وفهمه للأحداث وهنا يرى عالم الاجتماع رايت ميلز (Wright Mills) أن خطورة وسائل الإعلام تكمن في تأثيرها على أفكار الأفراد وتشكيل رؤاهم ووعيهم بالأحداث فيقول: "إن جانبا ضئيلا فقط مما تعرفه من حقائق اجتماعية عن العالم قد توصلنا إليه بأنفسنا والجانب الأكبر عن طريق وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري" (Mills ,1969. p311).

تأثير المتغيرات السياسية والثقافية على دور الإعلام في المجتمعات الحديثة وتشكيل الوعي لدى الجمهور:

شهد العالم منذ بداية العقد الأخير من القرن الماضي عددا من المتغيرات السياسية والاقتصادية والثقافية... في هيكل العلاقات الدولية وتفاعلاتها وقد انعكس ذلك بشكل واضح على معظم مجالات الحياة ولعل ما حدث من تطورات تكنولوجية وما تبعها من تطور في الإعلام ووسائله ونظم الاتصالات يعد أبرز هذه المتغيرات المستجدة, بل أصبح الإعلام وكيفية تطويعه لتكنولوجيا الاتصال عنصرا هاما من عناصر تقييم القوة الشاملة للدول وبالتالي تقييم قوة الدول المتحكمة في النظام الدولي الحالي وفي مصير الشعوب, حيث يتميز هذا الإعلام الجديد بتنوع

وسائله وسهولة استخدامها وهذه الخصائص غيرت من ثم من أنماط السلوك الخاصة بوسائل الاتصال (عبد الحسيب, علم الدين, 1997, ص 195), فالعصر الذي نعيشه هو عصر الثورة التكنولوجية وعصر التغير المتسارع وعصر الانفتاح الإعلامي والثقافي الحضاري العالمي والثورة التكنولوجية التي هي من أهم خواص القرن الذي نعيشه فهي ثورة تعتمد على المعرفة العلمية المتقدمة والاستخدام الأمثل للمعلومات المتدفقة بمعدلات سريعة والتي أدت إلى تغيرات جذرية في بنية الدول والمجتمعات حيث يرى الباحث مارشال ماكلوهان (Marshall McLuhan) أن التحولات في التكنولوجيا لها تأثيرها الواضح على التنظيم الاجتماعي وعلى المشاعر الإنسانية ويتحدد النظام الاجتماعي بطبيعة وسائل الإعلام التي تتم من خلالها عملية الاتصال فبدون فهم الأسلوب الذي تعمل بمقتضاه وسائل الإعلام لا نستطيع الوصول إلى المعرفة لكيفية التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تطرأ على المجتمعات (نجم, 1989, ص 154), فمنذ بداية تسعينات القرن العشرين بدأت هذه الثورة تحدث تغيرات أساسية في الطريقة التي ينظر الناس بها إلى أدوارهم وأسلوب التعامل مع بعضهم البعض وإلى التعامل مع الأحداث القريبة والبعيدة وأصبحت القوة والغنى والتقدم تقاس بمقياس واحد هو الاندماج في الحضارة العلمية والأخذ بمعطيات الثورة المعلوماتية وأبرز جوانب الثورة المعلوماتية هو الجانب الخاص بالتطورات المدهشة في عالم الحاسوب فهو لا يزداد سرعة وكفاءة فحسب بل يزداد تخصصا ورخصا وصغرا وانتشارا واستخداما ويتحرك من المغناطيسي إلى الضوئي إلى الرقمي ومن الثابت إلى المتحرك ومن الجامد إلى الناعم ومن المادة إلى الخلية العضوية (اللقاني, 2001, ص 55).

إن الدور الذي لعبته وسائل الإعلام الجماهيرية (Mass Media) في تطوير تغيرات الأوضاع البارزة في العالم على نحو متزايد في ظل المخاطر المتزايدة في الفترة الحرجة من التنمية في العالم خلال القرن الماضي والحالي في ظل التغيرات الكبيرة

والتعديلات الرئيسية بات المجتمع الدولي يشعر بصعوبة التعامل مع مختلف المتغيرات المتصلة مباشرة بمستقبل العالم وآفاق استمراريته خاصة في ظل تداخل العلاقات والأدوار والمصالح حيث يلفت باحث الاجتماع المصري عبد الباسط عبد المعطي الانتباه إلى أهمية الدور الذي يقوم به الإعلام والذي يتوقف على طبيعة العلاقة بينه وبين النظامين السياسي والاجتماعي السائدين في أي بلد (عبد المعطي, 1979, ص 9 - 11), فالإعلام لم يعد اليوم مقتصرا على النقل الحر والموضوعي للأخبار والمعلومات والوقائع بصورة صحيحة بإحدى وسائل الإعلام مستهدفا العقل ولا يهدف لأي غرض سوى الإعلام ذاته لغرض التمييز بينه وبين الدعاية (تركي, 1984, ص 227), وعليه فإن دور الإعلام في الوقت الراهن أصبح مهما للغاية حيث أن موقفه الشامل والموضوعي إلى حد ما يساعد على تكوين نظرة دقيقة لكيفية التعامل مع التغيرات الكبيرة عند الرأي العام وتنمية الوعي الجماهيري بمختلف القضايا وتعزيز الهوية عبر كل المجتمعات عامة والمجتمعات الانتقالية بشكل خاص **(Transitional Societies)***, وهكذا أصبح العصر الذي نعيشه الآن هو عصر ثورة الاتصال والفضائيات التي تبث عبر الأقمار الصناعية بل وتحول العالم إلي مجرد قرية كونية صغيرة* وذلك كنتيجة مباشرة لما شهدته وسائل الإعلام في السنوات الأخيرة من تقدم تقني ووظيفي أدى إلى انتشار القنوات التليفزيونية الفضائية فضلا عن الانتشار المذهل لوسائل الإعلام الأخرى سواء المسموعة أو المقروءة ناهيك عن شبكة المعلومات الدولية (الأنترنت) مما دفع بالأحداث المحلية إلى دائرة الاهتمام العالمي وجذب الأحداث العالمية إلى بؤرة الاهتمام المحلي والدولي عبر العالم, ونتيجة لهذا التطور الهائل فإن تأثير الإعلام من جهة قد يزيد من تعقيد الخلافات بين الدول والشعوب وصعوبة معالجتها بشكل سليم كما له القدرة من جهة أخرى على تعزيز التشاور والتعاون والتعايش والقدرة أيضا على التحكم في

العالم ما يؤثر في نهاية المطاف على التنمية والأمن الوطني والدولي, وعلى سبيل المثال فإن طرح وسائل الإعلام موضوع الوضع الاقتصادي الحالي بغير موضوعية وشمولية يؤثر على ثقة الدول في التنمية الاقتصادية العالمية وفي سوق العقارات وتقلبات سوق الذهب والنفط والغذاء, كما أن تقارير وسائل الإعلام حول الهجمات الإرهابية والأمن الغذائي والكوارث الطبيعية يؤثر على شعور الناس بالأمن في العالم اليوم بالإضافة إلى ذلك فإن طرح وسائل الإعلام في العالم الوضع الراهن يؤثر على الخيارات السياسية العامة والقضايا الأخرى ذات الصلة بالأحداث العالمية.

لقد كتب الكثير منذ ربع قرن حول التأثير المتنامي للإعلام واختلف منذ البداية رواد علوم الإعلام خاصة السياسي منه في تحديد نوعية العلاقة بين ثنائية السياسة والإعلام فرأى بعضهم أن العمل السياسي والعمل الإعلامي يشكلان معا مجالين متمايزين في حين يرى البعض الآخر أنه لا يمكن الفصل بين هذين النشاطين باعتبار أهمية الوظيفة الإعلامية هي التبليغ وإشراك المواطنين في الحياة السياسية وربط قنوات الاتصال بين التشكيلات المتآلفة أو المتعارضة فأضحى الجمهور بذلك مرتبطا بما يقرأه هذا الأخير في الصحافة ويشاهده على الشاشة أو يسمعه في الإذاعة أو يطلع عليه عبر الوسائط الإلكترونية الجديدة حيث تسهم مختلف وسائل الإعلام في الالتفاف الجماهيري حول مشكلات سياسية بعينها وتخلق مناخا إعلاميا تثار فيه التنمية السياسية وتساعد وسائل الإعلام في تكوين رأي عام صائب لحل المشكلات السياسية (إسماعيل, 1997, ص 48-49), وبذلك فإنه لا تكتمل الحياة السياسية في الدولة العصرية إلا بالإعلام والحوار الدائم بين المواطنين ومختلف أجهزة الحكم باعتبار الحق في الإعلام حقا من حقوق الفرد والجمهور المكرسة قانونا خاصة بعد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة (1948) والذي أنشأ جيلا جديدا من حقوق الإنسان التي سعت إلى تحسين حياة البشر وترقية مختلف حقوقهم والتي يعد من أبرزها الحق في الإعلام (RTI)* وعندما نتحدث عن الحق في الإعلام يجب أن نتحدث

عن دور الدولة تحديدا في هذا المجال وهذا في ما يتعلق بإصدار قانون أو عدة قوانين أساسية وتنظيمات تحكم السلوك الإعلامي في جميع مراحله (الجمال, 2004, ص 19) حيث أنه من حق الجمهور أن يطلع على مختلف المعلومات والأفكار والآراء التي تلبي حاجياته وتستجيب لاهتماماته ومتطلباته الحياتية خاصة فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي... مما يخلق عند هذا الجمهور درجة من الوعي هذا الوعي الذي ليس سوى وعي عام يشتمل على إحاطة أفراد المجتمع بمجمل القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحتى العلمية التي لها دخل في حياتهم (بوجلال, 1991, ص 42 - 45).

إن العمل الإعلامي الذي أصبح يصطبغ اليوم بصفة "الإعلام السياسي" (Political Media) يتصف بشكل خاص باهتماماته المحلية والدولية ذات الطابع السياسي فللإعلام السياسي في النظام الدولي أو النظام السياسي المحلي أهداف كثيرة منها دعم الديموقراطية وخدمة التنمية السياسية وتكريس الحقوق الإنسانية ونشر الوعي الجماهيري حول ما يهمه من قضايا وأحداث من خلال خلق اتجاه عقلي يمكن الفرد من إدراك نفسه والبيئة المحيطة به بدرجات متفاوتة من الوضوح والتعقيد (مذكور, 1975, ص 644) وبذلك يتضح اختلاف أفراد الجمهور في درجة الإدراك والاهتمام وردة الفعل حول مختلف القضايا والمواقف وهو ما تحاول وسائل الإعلام استغلاله لخلق اتجاهات معينة وتوجيه الرأي العام وتوحيد الأفكار وتنميط وجهات الرؤى المختلفة بما يهدف إلى خدمة طرف او أطراف أو مصالح معينة, بحيث أصبح لقوة الإعلام القدرة على إقامة أنظمة وإقالة أنظمة أخرى خاصة إذا ما ارتبط الإعلام بالحراك الشعبي ومطالب الحرية والتغيير مثلما حدث في كل من مصر وليبيا وتونس واليمن في ما يسمى بثورات الربيع العربي, حيث بدأ الربيع العربي كما تمت تسميته بما شهدته البلدان العربية من

انطلاقة نحو الحرية والديمقراطية ليفتح مجالا واسعا من التساؤلات والاستفسارات التي يحاول الجميع البحث لها عن إجابات وطرح تفسيرات لما يحدث (طاهر، السعودي, 2011, ص 12) وهذا ما ينطبق على ما قاله الباحث ويلبر شرام (Wilbur Schramm) : إن وسائل الإعلام تشارك في التغيير الاجتماعي مثل الثورات الفكرية والاجتماعية والسياسية (Gumpertg. 1982. P 462), ومن هنا تظهر أهمية "الإعلام الجديد" باعتباره مساحة التعبير الحرة الوحيدة الغير خاضعة للرقابة قبل الثورات العربية حيث لعبت المدونات وشبكات التواصل الاجتماعي دورا كبيرا في التغيير والحراك الثوري من خلال زخم المشاركة والحوار بحيث كانت الثورات العربية ثورات فيسبوكية افتراضية حيث استطاعت إبراز الوجه الشعبي للثورة الذي يعمل من أجل الديمقراطية وحقوق الإنسان والتحرر, حيث اعتبر الكثير من المهتمين بالإعلام أن الإعلام لا يصنع الثورات وإنما الإرادة الشعبية هي من تصنعه واعتبروا أن الشخص الذي يستطيع أن ينشر على مدونته أو على مواقع شبكات التواصل الاجتماعي معلومة مثل "لننزل إلى الشارع من أجل التغيير" ويتم التجاوب معه بشكل واسع هو الشخص المحدد والمؤثر رغم أهمية الإعلام الجديد الذي يستعمله, فالإعلام بوسائله/وسائطه الجديدة أعطى دفعة كبيرة لحركة التغيير من حيث أنها مكنت الأشخاص ذوي الاهتمام المشترك من التجمع والتبادل في ظل الإعلام التقليدي الذي ظل يلتزم بضوابط مهنية صارمة وعليه التثبت من مصدر وصحة المعلومات ومنها الفيديوهات التي يتناقلها الإعلام الجديد عبر شبكة الأنترنت, إذ لا يمكن بثها مثلا في قناة تلفزيونية تعتمد الصرامة والدقة والمهنية دون التأكد من صحة مصدرها ومصداقيته إلا أن هذا الأمر لا يلغي ضرورة التكامل بين كل من الإعلام التقليدي والجديد ولكن ليس على حساب المهنية والموضوعية ونزاهة العمل الإعلامي الذي يعد جوهر الإعلام, فليست العبرة بكم الأخبار والمعلومات والمنشورات التي يتلقاها الجمهور بل بنوعيتها وصدقها ومصداقيتها والتي يجب أن

تأثير المتغيرات السياسية والثقافية على دور الإعلام في المجتمعات الحديثة وتشكيل الوعي لدى الجمهور

تزيد قدرات الإنسان الثقافية والتحليلية والإبداعية والنقدية وبذلك خلق الوعي لدى الجمهور كما تؤدي إلى أن يقوم الإعلاميون بدورهم في تحقيق حق هذا الجمهور بالمعرفة والتنوير وتعزيز الوعي.

كما أدت ثورة المعلومات والتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العالم إلى تغيرات ثقافية قيمة فثورة الاتصالات والمعلومات خاصة في مجال الإرسال التلفزيوني والإذاعي ومن خلال شبكة الأنترنت والبريد الإلكتروني ونمو قطاع الاتصالات المعلوماتي الترفيهي كلها أخذت تشكل وتتحكم بشكل كبير في تكوين الأفكار والأذواق والأزياء والثقافة والفنون والقيم الأخلاقية والجمالية ووعي الجمهور ككل, فإذا كانت الثقافة في مجملها هي المعرفة والتعليم وأن الوعي بهما يرقى بالفرد إلى مستوى اجتماعي أفضل والوعي الثقافي يعني الوعي بالحياة اليومية بما يشمل من عادات وتقاليد وأعراف وتدين وأحكام وتفاعل وصور النشاط العام التلقائي المنظم وهناك أشكال أخرى من أشكال الوعي وهي الوعي الأخلاقي والوعي القانوني والوعي العلمي والوعي الجماهيري والوعي بالذات والوعي الطبقي (حلس، مهدي, 2010, ص 148) فإن ما تقوم به وسائل الإعلام من نشر لثقافة الاستهلاك أدى إلى انتقال الوعي والاهتمام الثقافي والبعد الأخلاقي والقيم للإنسان من إطار ثقافة الوطنية إلى الثقافة العالمية كلها والتي جاءت نتاجا لتأثير التغيرات الاقتصادية والسياسية والإعلامية (الهاشمي، 2002, ص 10), فالثقافة هي المعبر الحقيقي عما وصلت إليه البشرية من تقدم فكري وحضاري فمن خلالها يتم رسم المفاهيم والتصورات كما يتم رسم القيم والسلوك وقد ارتبطت الثقافة بالوجود الإنساني ارتباطا متلازما تطور مع الحياة الإنسانية وفقا لما يقدمه الإنسان من إبداع وإنتاج مادي ولا مادي في شتى المجالات, فالثقافة هي المنظومة المعقدة والمتشابكة التي تتضمن اللغات والمعتقدات والمعارف والفنون والتعليمات والقوانين والدساتير والمعايير الخلقية

والقيم والأعراف والعادات والتقاليد الاجتماعية والمهارات التي يمتلكها أفراد مجتمع معين (الهاشمي, 2002, ص 10) وبذلك القدرة على تماسك المجتمع واستمراريته وتطوره.

ويعتبر الإعلام بوسائله ووسائطه المتنوعة من أكثر الوسائل تأثيرا في الرأي العام وتحديد اتجاهاته واشباع مختلف حاجات ورغبات الجمهور وتشكيل مختلف آرائه وأفكاره وتعزيز هويته الفردية والجمعية والاجتماعية والثقافية مثله مثل باقي المؤسسات الاجتماعية التي تعمل على تكوين شخصية الأفراد فالإعلام ووسائله تعتبر مؤسسة اجتماعية لها دور في غرس القيم الاجتماعية وصقل الشخصية وتحديد المعايير الثقافية (موسى, 1988, ص 244) أي الحفاظ على هوية الفرد ضمن هوية الجماعة داخل المجتمع الواحد وهو ما أشار إليه كل من الباحثان البولندي هنري تاجفيل والبريطاني جون تيرنر (Henri Tajfel & John Turner)* على أن الهوية الاجتماعية على هي نتاج إدراكات الفرد كونه عضوا في جماعة معينة ومشاعره التي يبديها نتيجة إنتسابه لتلك الجماعة وهذا الانتساب لا يتحدد بالعلاقات الشخصية المباشرة أو التفاعل الاجتماعي المباشر بين أعضاء الجماعة بل أن العامل الحاسم هو المصير المشترك الذي يربط الأعضاء المنتمين لتلك الجماعة" ومن هنا يمكن القول أن الهوية بالنسبة للشخص هي حاصل التفاعل بين الانتماءات المختلفة والتي ينتج عنها مميزات خاصة بكل شعب أو ما يطلق عليه الهوية الوطنية للشعب (الناهي, رشيد, 2015, ص 112) وبذلك الحفاظ على الجزء ضمن الكل المتكامل وبذلك أصبحت اليوم هذه الوسائل مصدرا أساسيا للثقافة العامة لكافة فئات المجتمع فقد امتد تأثيرها إلى معظم أفراد المجتمع من خلال ما تقدمه من محتوى يحمل مضامين متعددة تلقى قبولا لدى هذه الفئات فما بين برامج موجهة للأطفال والمرأة والأسرة إلى برامج تعنى بالشأن السياسي والاقتصادي والرياضي والفني والديني والتاريخي... وبذلك تتوزع المواد الإعلامية التي تبثها مختلف

تأثير المتغيرات السياسية والثقافية على دور الإعلام في المجتمعات الحديثة وتشكيل الوعي لدى الجمهور

وسائل الإعلام بكل ما تحمله من مضامين بل بدأت بعض وسائل الإعلام في التحول إلى إعلام متخصص في مجال محدد فهناك قنوات فضائية مخصصة للأطفال وأخرى للأسرة وأخرى للصحة وللبيئة..., كما اتجهت قنوات أخرى إلى الاهتمام بمختلف الشؤون الثقافية وكل ما يتعلق بها سواء كان ذلك بتخصيص برامج ثقافية على خارطتها الإعلامية أو أن يكون محتوى القناة ثقافيا بحتا دون وجود أي برامج الأخرى وما يقال عن القنوات الفضائية يمكن أن يمتد إلى غيرها من الوسائل الأخرى كالإذاعة والصحافة المكتوبة بطبيعة الحال, أما ما أصبح يسمى اليوم بالإعلام الجديد (New Media) من خلال تطبيقات شبكة الأنترنت والوسائط التكنولوجية الجديدة وشبكات التواصل الاجتماعي (Social Network) فقد تجاوزت جميع الأدوار لتصبح إحدى مصادر الثقافة الإعلامية المهمة بما تتميز به من تجاوز لكافة العوائق والحدود سواء كان ذلك في الوقت الذي تبث فيه المادة الإعلامية أو مجالها الجغرافي أو مجالات رقابتها ومنعها, فالأمم والشعوب لها ثقافات تتفق أحيانا في بعض الجوانب وتتباين في أخرى وكل أمة حريصة على نشر ثقافتها وخاصة لدى أفرادها ومنسوبيها والإعلام بآلياته المتعددة هو أحد وسائل/وسائط نقل تلك الثقافة إن لم يكن أعظمها على الاطلاق, حيث أن الثقافات تتداخل في الكثير من جوانبها وتتشابك محاورها ومفرداتها نتيجة سرعة الاتصال بحكم التقنيات الجديدة وهناك قدر مشترك بين ثقافات الأمم والشعوب متفق عليه تقبله العقول الصحيحة والفطرة السليمة إلا أنه تبقى الخصوصية وما تمثله من التمايز والاختلاف عن الآخر سواء بين الأفراد أو الشعوب أو الحضارات والاتصاف بميزات ذاتية وأخلاقية وقيمية مختلفة لكل ثقافة قائمة شاخصة تنم عن أهلها وذويها مبنية على مبادئها وقيمها وهو ما يتطلب وعيا ثقافيا كبيرا لدى مختلف شعوب العالم, فكل ثقافة في العالم يحرص أصحابها على نشرها وحصر غيرها ومن أجل

ذلك تتخذ الضوابط والقيود وتبنى السدود خوفا من غزو الثقافات الأخرى والاختراق والهيمنة خاصة في ظل العولمة وفي هذا السياق تنطلق الكاتبة مورين توريم (Moreen Toreem)* من منطلق فكرة أساسية تتعلق بمسألة الهيمنة العالمية ومن إشكاليات الصعوبة التي تتمركز حول محاولة رسم خريطة للثقافة العالمية المهيمنة أو "عولمة ثقافية" (Cultural Globalization) فنظام العولمة هذا يسعى إلى وضع نظام عالمي موحد ونموذجي لا يقبل التمايزات ولا الخصوصيات عكس ما تتميز به الهوية الثقافية من خصائص التفرد والتعدد (بلقاسمي, مزيان, 2012, ص 46) ولأن الثقافة تتسم بتعددية المعاني وذلك لارتباطها بسياق التأويلات المختلفة للأفراد والشعوب والأمم, وذلك خوفا من الهيمنة الثقافية للدول القوية التي تسعى لفرض ثقافاتها على الشعوب الضعيفة وطمس هويتها فالهوية التي تمثل إحساس فرد أو جماعة بالذات إنها نتيجة وعي الذات بأنني أو نحن نمتلك خصائص مميزة ككينونة تميزني عنك وتميزنا عنهم (هارلمبس وهولبورن, 2010, ص 13) , وأكثر ما يثير التخوفات هو ارتباط الثقافة بالجانب الاقتصادي ارتباطا متلازما حيث كلما ضعفت المناعة الاقتصادية ضؤل تأثير المناعة الثقافية لدى الشعوب مما يجعل الانهيار تحت تأثير العولمة الثقافية أكثر احتمالا في ظل هذه الأحوال (التويجري، 2002, ص 22) حيث يشكل التوجس من طمس وتلاشي الهوية وتماهيها الهاجس الذي يتخوف منه الأفراد والمجتمعات ككل, فخصوصية ثقافة أي مجتمع من المجتمعات تتحدد من خلال هويته العامة "الجماعية" حتى وإن تعددت هذه الثقافات ضمن الهوية الواحدة المتنوعة والتي تمتزج وتتلاقح في ما بينها وبذلك تشكل جوهر الاتفاق والانتماء بين مختلف أفراد الجماعة الواحدة والمجتمع الواحد والشعب الواحد والأمة الواحدة فالتخوف من الهيمنة الثقافية وما تشكله من خطر على الهوية كونها إستراتيجية تهدف إلى نشر ثقافة الطرف الأقوى والمهيمن حيث تسعى إلى ضرب الثقافات المحلية أو القومية أو الثقافات الفرعية من أجل تسييد

نموذج واحد للتفكير والصور والمشاهد الإعلامية التي يغلب عليها طابع الإعلان والترويج الذي يخلق ذوقا واحدا ذو نمط استهلاكي النزعة.

خاتمة:

إن أهم ما يستنتج أن التغيرات السياسية والثقافية والاجتماعية وحتى التكنولوجية والاقتصادية... وغيرها تحدث بصفة مستمرة في كل مجتمع سواء كان هذا التغير بطيئا أم سريع التنامي بدليل تغير العلم والمعارف وظهور فلسفات جديدة ونظريات دحضت ما سبقها من نظريات وفلسفات ألغت ما قبلها من فلسفات وكذلك تغير النظام الأسري والاجتماعي وتطلع الأمم إلى الاستقلال والحرية وتغيير المجتمعات في عاداتها وقيمها ونظمها الاجتماعية, ومما لا شك فيه أن كل هذه التغيرات تدل على أن الشعوب تواجه في وقتنا الحاضر عالما يختلف عما واجهته كثير من الشعوب فيما مضى من زمن سابق لذلك فإن ما كان مناسبا لتلك الشعوب في الماضي لم يعد ولن يصلح لشعوب العصر الحاضر, ويتضح مما سبق دور وأثر الإعلام في المجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي... المحلي والدولي في ظل العولمة الكونية والنظام الدولي الجديد الذي كرس أهمية الإعلام في خدمة الأهداف والإستراتيجيات وسعيه المستميت إلى الاعتماد على الإعلام فالحرب اليوم هي حرب الإعلام والسلاح اليوم هو سلاح الكلمة والصورة التي تستهدف العقول وهو السلاح الأكثر فعالية من اللجوء إلى القوة العسكرية والعنف والمواجهة بل وسلاحا أكثر فتكا وخطورة من السابق باعتباره يعتمد على وسائل الإقناع والإغراء والترغيب والترهيب والتضليل والدعاية والخداع بصورة تبدو للعيان أنها الحقيقة وبذلك يؤدي الإعلام عبر وسائله/وسائطه المختلفة والمتنوعة التقليدية منها والجديدة إلى تحقيق ما سطر من أهداف وما رسم من استراتيجيات والوصول إليها بأسرع الطرق وأسهل السبل.

هوامش:

الثنائيات المتضادة Binary Opposition:

وتسمى أيضا المعارضات الثنائية وهي المفاهيم أو المصطلحات التي تتعاكس أو تتعارض في المعنى وهذا التعارض يكون في الدلالة فهذه الثنائيات عبارة عن نوع من العلاقات التلازمية بين المعني كأن يجتمع الشيء وضده فكل ثنائية ذات وجود متبادل ومثالا عن ذلك رجل/امرأة, الهوية/الثقافة, الخير/الشر والفرح/الحزن... وارتبطت الثنائيات المتضادة باللغة والفكر وشاع استخدامها في اللغة والأدب, ويعد العالم البنيوي فرديناند دي سوسور (Ferdinand de Saussure) أشهر العلماء الذين تناولوا دراسة الثنائيات المتعارضة كما اشتهر في علم اللسانيات ويعتبر الأب الروحي للمدرسة البنيوية ومؤسس علم اللغة الحديث.

المجتمعات الانتقالية Transitional Societies:

يشير مصطلح المجتمعات الانتقالية غالبا في مفهومه العام إلى المجتمعات حديثة الاستقلال أو السائرة في طريق النمو أما في علم الاجتماع فهو ترتبط بثنائية التحديث والتقليد (Modernization and Tradition) ويشير مفهوم "المجتمع الانتقالي" (Transitional Community) إلى عملية تحول المؤسسات الاجتماعية من التقليد إلى التحديث "النمو" مما يؤدي إلى عملية التطور وخاصة التحول في البناء السكاني واتجاهاته حيث تقل نسب الوفيات بسبب الاهتمام بالجوانب الصحية والأسرة وتنظيم الولادات مما يؤدي إلى تطور ونمو المجتمعات وهو الأمر الذي يؤدي بدوره إلى انعكاس التطور على مختلف الجوانب الأخرى السياسية والاجتماعية والاقتصادية....

القرية الكونية Cosmic Village:

وهو مصطلح للباحث الكندي مارشال ماكلوهان (Marshall McLuhan) (21 يوليو 1911/31 ديسمبر 1980) وهو أول من أطلقه وأدرك آثاره الاجتماعية وقد أحدثت رؤاه ثورة في ذلك الوقت وتغييرا جوهريا في رؤية العالم للإعلام والتقنية والاتصالات, حيث يرى أنه بفضل وسائل الاتصال سوف تتقلص الحدود الجغرافية والزمانية وستتلاشى الثقافات الإقليمية والقبلية تدريجيا أي أنه إذا ما وقعت حادثة في أي منطقة من العالم يمكن أن تراها وتتأثر بها المناطق الأخرى في ذات الوقت وهو

ما كان يعيشه الناس عندما كانوا يقطنون قرية صغيرة, حيث كان ماكلوهان أول من بشر بقدوم القرية الكونية وأن الكرة الأرضية بفضل وسائل الإعلام والاتصال سوف تتقلص حتى تصبح قرية صغيرة لا يشعر فيها البشر باتساعها.

الحق في الأعلام RTI:

ورد في الإعلان العالمي لميثاق حقوق الإنسان عام (1948) الحق في الإعلام حق آخر من الحقوق حيث تضمنت المادة (19) منه ما يلي: "لكل شخص حق التمتع بحرية الرأي والتعبير ويشمل هذا الحق حرية اعتناقه الآراء دون مضايقة وفي التماس الأنباء والأخبار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين بأية وسيلة ودونما اعتبار للحدود" ويتضمن هذا الحق حرية الأفراد والجماعات والشعوب في الحصول على المعلومات الصحيحة من مصادرها أو من خلال وسائط تتمتع بالمصداقية وكذلك الحق استعمال ونقل هذه المعلومات عبر مختلف الوسائل, والحق في الإعلام يتضمن الحق في تبليغ الأنباء والمعلومات والآراء ويتعلق هذا الحق بالقائم بالاتصال "الصحفي" أو بمعدي الرسائل الإعلامية سواء أفردا أو مؤسسات إعلامية وثانيا الحق في تلقي المعلومات وهو حق متعلق بالمتلقي أو مستقبل الرسالة الإعلامية.

هنري تاجفيل وجون تيرنر Henri Tajfel & John Turner:

عالم النفس الاجتماعي البولندي هنري تاجفيل (Tajfel Henri) ولد في (1919/06/22) بمدينة ولوكلاويك ببولندا (Włocławek, Poland) وتوفي في (1983/05/03) بمدينة أكسفورد ببريطانيا (Oxford, Britain) وهو يعد أحد أشهر وأهم مؤسسي الرابطة الأوروبية لعلم النفس الاجتماعي التجريبي (EAESP) التي تأسست عام (1966) وضمت أشهر علماء أوروبا في مجال علم النفس الاجتماعي وتلميذه البريطاني جون تيرنر (John Charles Turner) الذي ولد في (1947/09/07) وتوفي في (24 جويلية 2011) بلندن ببريطانيا وهما صاحبا نظرية الهوية الاجتماعية (Social Identity Theory) التي صاغها وطورها في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي حيث قدما من خلالها مفهوم الهوية الاجتماعية كطريقة لشرح السلوك بين المجموعات من خلال استكشاف ظاهرة "المجموعة الداخلية" و"المجموعة الخارجية" والتي تستند إلى وجهة النظر القائلة بأن الهويات تتشكل من

خلال عملية اختلاف محددة بطريقة نسبية أو مرنة تعتمد على الأنشطة التي ينخرط فيها الفرد, كما تطرق الباحثان إلى الظروف والشروط التي تصبح من خلالها الهوية الاجتماعية (Social Identity) أكثر أهمية من الهوية الفردية أو الذاتية (Self-Identity) وبذلك كيف تأثر الهوية الاجتماعية على السلوك داخل الجماعة الاجتماعية.

مورين توريم Moreen Toreem:

كاتبة ومؤلفة وباحثة في الحقل السينمائي والدراسات الثقافة وهي أستاذة دراسات السينما واللغة الإنجليزية بجامعة فلوريدا بمدينة جينسفيل (Janesville) بالولايات المتحدة الأمريكية آخر مؤلفاتها كان كتاب "لقطات الرجوع إلى الماضي في السينما: التاريخ والذاكرة (Flashback In Film: History And Memory) الذي نشر في كل من لندن ونيويورك سنة (1989) والفقرة مأخوذة من نص الخصوصية الثقافية المأخوذ من مداخلة ألقتها الكاتبة في أحد المؤتمرات التي تناولت موضوع "الخصوصية الثقافية" وتأثيرات العولمة على العالم المنشور ضمن كتاب "الثقافة والعولمة والنظام العالمي الجديد" (Culture Globalization And The World-System) الصادر سنة (2001) عن سلسلة الفكر في إطار مشروع "مكتبة الأسرة" بالتعاون مع المشروع القومي للترجمة للمجلس الأعلى للثقافة المصري وتمت ترجمة نسخة الكتاب من طرف كل من الكتاب المصريين: شهرت العالم, هالة فؤاد, محمد يحيى فيما صدر الكتاب بنسخته باللغة الإنجليزية تحت اسم (Culture Globalization And The World-System) من تحرير وجمع الكاتب الأمريكي أنطوني د. كينج (Anthony D. King) ويتناول الكتاب أهم قضايا العصر المتمثلة في الثقافة والعولمة والنظام العالمي من خلال تقديم مجموعة من الدراسات المتنوعة لمجموعة من الكتاب والباحثين في مجالات علم الاجتماع والسينما والفن.

المراجع:

- مدكور, إبراهيم, (1975), معجم العلوم الاجتماعية, الطبعة الأولى, الهيئة المصرية للكتاب, القاهرة, مصر.

- إسماعيل, محمود حسن, (1997), التنشئة السياسية: دراسة في دور وأخبار التلفزيون, دار النشر للجامعات, القاهرة, مصر.

- الهاشمي, مبارك, (2002), تحديات تواجه التعليم الثانوي, مؤتمر تطوير التعليم الثانوي, مسقط, سلطنة عمان.

- اللقاني, محمد, (2001), مناهج التعليم بين الواقع والمستقبل, عالم الكتب, القاهرة, مصر.

- الناهي, أحمد عبد الله, رشيد, صدام عبد الستار, (2015), إشكالية الهوية في المجتمعات العربية: قراءة في مسألة الانتماءات الفرعية, مجلة قضايا سياسية, العدد 42, جامعة النهرين, بغداد, العراق.

- التويجري, عبد العزيز بن عثمان, (2002), العولمة والحياة الثقافية في العالم الإسلامي, منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو (ICESCO), الرباط, المغرب.

- بلقاسمي, آمنة ياسين, مزيان, محمد, (2012), العولمة الثقافية وتأثيراتها على هوية الشباب والمراهقين الجزائريين: دراسة تحليلية, مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية, العدد الثامن, جامعة قاصدي مرباح, ورقلة, الجزائر.

- بوجلال, عبد الله, (1991), الإعلام وقضايا الوعي الاجتماعي في الوطن العربي, المستقبل العربي, المجلد 14, العدد ,147, بيروت, لبنان.

- هارلمبس, هولبورن, ترجمة: حاتم حميد حسن, (2010), سوسيولوجيا الثقافة والهوية, الطبعة الأولى, دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع, دمشق, سوريا.

- حلس ,موسى عبدالرحيم, (2003), مدخل إلى علم الاجتماع, مكتبة ومطبعة المنار, غزة, فلسطين.

- حلس, موسى عبد الرحيم, مهدي, ناصر علي, (2010), دور وسائل الإعلام في تشكيل الوعي الاجتماعي لدى الشباب الفلسطيني, مجلة جامعة الازهر, سلسلة العلوم الإنسانية, المجلد 12, العدد 01, غزة, فلسطين.

- طاهر, أحمد, السعودي, أحمد, (2011), الثورات الشعبية: الطريق الثالث للتغيير التجربة المصرية نموذجا, الربيع للمطبوعات التجارية, القاهرة, مصر.

- موسى, عصام سليمان, (1988), الثقافة الإعلامية, مجلة العلوم الاجتماعية, العدد 48, جامعة الكويت, الكويت.
- محمد, علي محمد, (1980), الشباب والمجتمع, الطبعة الأولى, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, مصر.
- نجم, طه, (1996), علم اجتماع المعرفة, الطبعة الأولى, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية, مصر.
- عبد الحسيب, محمد تيمور, علم الدين, محمود, (1997), الحاسبات الإلكترونية وتكنولوجيا الاتصال, الطبعة الأولى, دار الشرق, القاهرة, مصر.
- عبد المعطي, عبد الباسط, (1979), الإعلام وتزييف الوعي, دار الثقافة الجديدة, القاهرة, مصر.
- تركي, مصطفى, (1984), وسائل الإعلام وأثرها في شخصية الغزو, مجلة الفكر, الجزء 14, وزارة الإعلام الكويتية, الكويت.
- Gumpertg and cathcart, (1982), Tours inter Media, 2nd Edition, Oxford University Press, London, Britain.
- Mills, C R, (1969), The Power Elite, 0xford University, London, Britain.